علم أسباب ورود الحديث الشريف

تأليف

دكتور / بدر عبد الحميد هميسه

تقديم

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستهديه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

"يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون" (آل عمران، ١٠٢).

"يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساءً واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً" (النساء، آية: ١).

"يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً * يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً" (الأحزاب، آية: ٧١، ٧٠).

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أشرف الخلائق خُلِقاً وخلقاً ، ورضي الله عن أصحابه حازوا كل الفضائل سبقا ، وعلى من سار على نهجهم إلى يوم الدين .

وبعد . . . ؛

فإن حسن الفهم لما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة، يقتضي تحصيل مجموعة من الأسس التي لا غنى عنها لقارئ السنة، تحقيقاً لهذا الفهم الصحيح.

وإهمال أساس من هذه الأسس يحدث اضطراباً في الفهم واختلافاً بين النصوص؛ ليس اختلافاً ذاتياً في النصوص، وإنما اختلاف نشأ من هذا التقصير في التحصيل لدى الناظرين في السنة.

فلا يتوقع الاختلاف والتضاد بين النصوص، عندما يكون المصدر واحداً، فإذا أضفنا إلى وحدة المصدر عصمته لأنه من وحي الله، فمحال أن يوجد بينها اختلاف (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً) (النساء: ٨٢). فالاختلاف في نصوص الوحي، ليس ذاتياً فيها، وإنما هو من طرف واحد - إن حدث - وهو طرف الناظرين فيها بغير كفاءة، وسنة النبي صلى الله عليه وسلم من وحي الله وتعليمه لنبيه صلى الله عليه وسلم ، وبيانه له، وتشهد بذلك آيات القرآن الكريم (وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم) (النحل: ٤٤). وقال تعالى: (ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ) (القيامة: ١٩). فالبيان للقرآن الكريم في سنة النبي صلى الله عليه وسلم ، وهذا البيان تكفل به تعليماً

لرسوله (وعلمك ما لم تكن تعلم) (النساء: ١١٣). وحفظاً له (إننا نحن نزلنا الذكر وإننا له لحافظون) (الحجر: ٩).

ولذلك فإن وجود الاختلاف والتضاد، لا يتجاوز عقول الناظرين في السنة. والتخلص منه، يكون بالوقوف على هذه الأسس التي نذكرها في هذا المبحث على سبيل الإجمال، مصحوبة بنماذج من تصحيح الفهم تشهد لسلف هذه الأمة، بالعناية بهذه المسألة لنفرد بعد ذلك بشيء يسير من التفصيل أساساً يحتاج إلى تحليل ما كتب فيه -وهو يسير- وتأسيس منهج نسير عليه، طلباً للمزيد من هذه النماذج، التي عُني فيها بأسباب ورود الحديث. فمن هذه الأسس:

وذلك لأن النصوص الواردة ليست سواء في درجة ثبوتها ونسبتها إلى النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد كفانا علماءنا منذ عصر الصحابة رضوان الله عليهم هذا الجانب المعين على التوثيق في جانبي الرواية؛ أي في جهة السند، وفي جهة المتن.

وقدمت الدراسات التي تشهد لعلماء الحديث بالسبق والريادة والدقة العلمية في توثيق الروايات، وتمييز بعضها من بعض، بالفوارق اليسيرة التي لا يتنبه إليها إلا من عُني بتحقيق اليقين، فيما ينسب إلى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ؛ لأنه الدين.

فُنظِرَ إلى الإسناد على أنه دين، فليُنظر المرء عمن يأخذ دينه، وقدمت المصنفات في أسماء الرواة وكناهم وصفاتهم، بل نظر في تطور أحوالهم خلال سنوات أعمارهم، وفي شيوخهم وتلاميذهم، ووضع لكل راوٍ لقبه المناسب، وإن اختلفت الأنظار إليهم عرف ذلك، وكيف يكون التعامل مع الموثقين والمجرّحين، بل اشتهر من عرف بالتشدد في الحرج والتعديل، ومن عرف بالاعتدال، أو التساهل.

ودوّن كل هذا ، ويسر تصنيفه، للرجوع إليه عند الحكم على الحديث.

كما فصّل القول في متن الحديث، وعلامات قبوله، وعلامات رده، وكل ما يتعلق به؛ لأنه الغاية من السند. وعرف لكل حديث بسنده ومرتبه ودرجته المطابقة لحاله، بل عرف للدرجة الواحدة مستويات متفاوتة، فالحديث الصحيح درجات، وكذلك الحسن، بل الضعيف له مستويات.

فإذا لم يحصل الناظر في الحديث هذه المعارف، كان نظره قاصراً، ووقوعه في الخطأ محققاً، وظهور الاختلاف والتناقض بين النصوص التي ينظر فيها مؤكداً.

وهذا ما جعل بعض المغرضين الذين حرموا المعرفة بهذه المقاييس في التصحيح والتضعيف، يستشهدون على أفكار سقيمة بروايات ضعيفة أو موضوعية، وفي مصادر ليست معتبرة عند علماء الحديث، ليضربوا بها نصوصاً صحيحة -أو على الأقل- أرجح منها.

ولذلك فإن بداية التعامل مع الروايات تكون بتوثيقها، وإعمال المعايير النقدية لأهل الحديث فيها، ومعرفة كل رواية وما قيل في الحكم عليها.

يعد موضوع (أسباب ورود الحديث) من الموضوعات المهمة في علوم الحديث الشريف المتعلقة بالمتن، وقد اعتنى المحدثون والفقهاء بهذا النوع من أنواع علوم الحديث، وحرصوا على إبرازه وضبطه لما له من أثر في فهم النص، وضبط الاستنباط منه.

فمعرفة أسباب ورود الحديث أمر في غاية الأهمية، وألّف فيه مؤلفات، كما ألّف في أسباب النزول .

وعلم أسباب الحديث وكذا تاريخه من المهم فخذنا

وسوف نعرض لهذا الموضوع من خلال هذه المباحث الخمسة :

المبحث الأول: تعريف (أسباب ورود الحديث).

المبحث الثاني: الفرق بين سبب النزول وسبب الورد.

المبحث الثالث: فوائد معرفة أسباب ورود الحديث.

المبحث الرابع: أقسام سبب الورد.

المبحث الخامس: علم أسباب ورود الحديث تطبيقاً.

هذا ؛ فإن كنت قد أصبت فذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، وإن كانت الأخرى فحسبي أنى قد أخلصتُ لله نيتي وعزيمتي ، وبذلت أقصى جهدي وهمتي .

والله أسألُ أن يغفر زلاتي ، ويستر عوراتي ، ويلهمني الرشد والصواب ، وأن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، إنه ولى ذلك والقادر عليه ، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين .

المبحث الأول

تعريف (أسباب ورود الحديث)

هو ما ذكر الحديث بشأنه وقت وقوعه.

فقولنا (بشأنه) أي: لأجله وبسببه، وقد يكون هذا الأمر حادثة وقعت أو سؤالاً طرح، أو نحو ذلك.

وقولنا (وقت وقوعه) خرج به ما ذكر في بعض الأحاديث من الأخبار عما وقع في الزمن الماضي، كقصص الأنبياء ونحوها. السبب لغة: عرف أهل اللغة السبب - بفتح السين والموحدة - بأنه الحبل، وذلك في لغة هذيل، وهو كل شيء يتوصل به إلى غيره.

ثم أطلقه أهل العرف العام على: كل شيء يتوصل به إلى مطلوب، وعرفه علماء الشريعة بأنه عبارة عما يكون طريقاً للوصول إلى الحكم غير مؤثر فيه .
أما الورود والموارد: بمعنى المناهل، أو الماء الذي يورد.

سبب الورود اصطلاحاً: لم يؤثر عن المحدثين له تعريف محدد، ولعلمهم أغفلوه اعتماداً منهم على وضوحه، أو على مقارنته على ما هو مذكور عند علماء الشريعة، ولكن عرفه بعض المعاصرين :
فعرفه الدكتور أبو شهبة فقال : هو علم يبحث فيه عن الأسباب الداعية إلى ذكر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الحديث أولاً، وهذا السبب قد يكون سؤالاً، وقد تكون حادثة، وقد تكون قصة، فيقول النبي - صلى الله عليه وسلم - الحديث بسببه أو بسببها .

وعرفه الدكتور يحيى إسماعيل فقال: هو ما يكون طريقاً لتحديد المراد من الحديث، من عموم أو خصوص، أو إطلاق أو تقييد، أو نسخ أو غير ذلك. أو هو ما ورد الحديث أيام وقوعه .

وأول من نوه به هو الحافظ البلقيني في كتابه " محاسن الاصطلاح وتضمنين كلام ابن الصلاح ". ثم الإمام ابن حجر في " النخبة وشرحها " فقد نوه به أيضاً، وصنف فيه أبو جعفر العكبري ، وأبو حامد بن كوتاه الجوباري ، والإمام السيوطي في التدريب موجزاً . قال ابن الملقن في شرح العمدة " أن بعض المتأخرين من أهل الحديث شرع في تصنيف أسباب الحديث كذا عزاه الشيخ عز الدين لبعض المتأخرين، وسمعت ممن يذكر أن عبد الغني بن سعيد

الحافظ صنف فيه تصنيفا قدر العمدة". ولكن يثبت لنا بالنظر في الآثار الواردة من لدن عصر الصحابة حتى يومنا هذا، أن هذا العلم قديم .

ويغلب على الظن أنه وضعت بذوره في عصر الصحابة والتابعين. ويوضح ذلك القصة التالية التي وردت في البرهان في علوم القرآن، في قوله تعالى " ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات جناح فيما طعموا" ... قال: حكى عن عثمان بن مظعون وعمرو بن معد يكرب: أنهما كانا يقولان الخمر مباحة، ويحتاجان بهذه الآية، وخفى عليهما سبب نزولها، فانه يمنع من ذلك وهو ما قاله الحسن وغيره: " لما نزل تحريم الخمر قالوا: كيف ياخواننا الذين ماتوا وهي في بطونهم، وقد أخبر الله تعالى أنها رجس، فأنزل الله تعالى"ليس على الذين آمنوا و عملوا الصالحات ... " من هذا يتبين أن هذا الموضوع من علوم الحديث قد لقي عناية مبكرة من العلماء.

وهو بهذا يتشابه إلى حد كبير مع (أسباب النزول) في علوم القرآن الكريم، قال السيوطي (٩١١هـ): "إن من أنواع علوم الحديث: معرفة أسبابه، كأسباب نزول القرآن" (١).

وقال الحسيني (١١٢٠هـ): "اعلم أن أسباب ورود الحديث كأسباب نزول القرآن" (٢).

واعتناء العلماء بأسباب نزول القرآن، وأسباب ورود الحديث يجلي عناية العلماء من السلف والخلف بمهذين المصدرين الأصليين: الكتاب والسنة.

المبحث الثاني: أقسام الحديث من حيث سبب الورود

قال الحسيني: "الحديث الشريف في الورود على قسمين: ماله سبب قيل لأجله، وما لا سبب له" (٣) .

ومن هنا يتبين أنه يمكن تقسيم الأحاديث من حيث سبب الورود إلى قسمين:

١ - أحاديث ابتدائية.

وهو ما ذكر دون ورود سبب يقتضيه، وأمثلة ذلك كثيرة، ومنها ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وحج البيت"^(٤).

(١) أسباب ورود الحديث (ص: ١٠٧).

(٢) البيان والتعريف (١/٣٢).

(٣) البيان والتعريف (١/٣٢).

(٤) رواه البخاري (٨)، ومسلم (١٦).

وهو ما تقدمه سبب اقتضى وروده.

سبب الورود وسبب ذكر :

قال الشيخ ابن حمزة الحسيني : وأفاد الحافظ ناصر الدين الدمشقي في "التعليقة اللطيفة لحديث البضعة الشريفة" أنه يأتي سبب الحديث تارة في عصر النبوة، وتارة بعدها، وتارة يأتي بالأمرين، كحديث البضعة. أما سببه في عصر النبوة فخطبة علي -كرم الله وجهه- ابنة أبي جهل على فاطمة - رضي الله عنها - فقال عليه السلام " إنما فاطمة بضعة مني... " أما سببه بعد عصر النبوة فما رواه المسور تسلية وتعظية لأهل البيت - رضي الله عنهم - بهذا الحديث وفيه التسلية عن هذا المصاب .

ولكن الدكتور أبو شهبة يرد هذا ويقول: أن ما قاله الصحابي يسمى سبب ذكر، ولا يسمى سبب ورود فيقول " والحق أن سبب الورود إنما يراد به السبب الذي بسببه قال النبي - صلى الله عليه وسلم - الحديث ، أما ذكر الصحابي للحديث فيما بعد ليستدل به في مناسبة من المناسبات فإنه لا يسمى سبب ورود وإنما يسمى " سبب ذكر " فيقول مثلاً : والسبب في ذكر الصحابي الحديث هو كذا...، فذكر الصحابي المسور بن مخزومة على زين العابدين وآل البيت لا يعتبر سبب ورود أبداً، وإنما يعتبر سبباً لذكره، وفرق بين الأمرين فلينتبه إلى هذا التحقيق أهل الحديث وطلبته.

المبحث الثاني

الفرق بين سبب النزول وسبب الورد

لمعرفة العلاقة بين أسباب نزول القرآن وأسباب ورود الحديث لا بد من تعريفهما أولاً.

وقد سبق التعريف بأسباب الورد في الأحاديث فكان لزاماً تعريف أسباب النزول في القرآن؛ لبيان تلك العلاقة.

تعريف سبب النزول في القرآن:

هو ذكر كل ما يتصل في سبب نزول الآية أو الآيات مخبرة عنه أو مبينة لحكمه في زمان وقوعه، ويكون إما حادثة وقعت للنبي صلى الله عليه وسلم في زمانه أو سؤال ورد إليه صلى الله عليه وسلم، وتكون الآية مبينة لتلك الحادثة أو رادة على السؤال الموجه أو نحو ذلك.

والمراد بزمان وقوعه: الظروف التي يتزل القرآن يتحدث فيها عن السبب، سواء كان ذلك النزول عقبه مباشرة أو تراخى زمانه لحكمة يعلمها الشارع؛ احترازاً عن الآيات التي نزلت ابتداءً من غير سبب تتحدث عن وقائع ماضية أو مستقبلية كقصص الأنبياء ويوم القيامة والساعة وغير ذلك.

فوائد معرفة أسباب النزول في القرآن:

عن إبراهيم التيمي قال: أرسل عمر بن الخطاب إلى ابن عباس فقال: كيف تختلف هذه الأمة وكتابها واحد ونبيها واحد وقبلتها واحدة؟! فقال ابن عباس: يا أمير المؤمنين إنا أنزل علينا القرآن فقرأناه وعلمناه فيما نزل، وإنه سيكون بعدنا أقوام يقرءون القرآن ولا يعرفون فيما نزل، فيكون لكل قوم فيه رأي، فإذا كان لكل قوم فيه رأي اختلفوا، فإذا اختلفوا اقتتلوا^(٤).

قال السيوطي في مقدمة كتابه «لباب النقول»: «لمعرفة أسباب النزول فوائد، وأخطأ من قال: لا فائدة له؛ لجريانه مجرى التاريخ، ومن فوائده الوقوف على المعنى، أو إزالة الإشكال»^(٥).

أقسام الآيات من حيث أسباب النزول:

١- قسم نزل ابتداءً من غير ارتباط بسبب وهو كثير ظاهر.

(٤) أخرجه سعيد بن منصور في «سننه» (٤٢- التفسير)، «فضائل القرآن» لأبي عبيد (٧٦)، البيهقي في «شعب الإيمان» (2283).

(٥) لباب النقول في أسباب النزول» (ص ٣).

٢- قسم نزل مرتبطاً بسبب من الأسباب.

ذكر بعض الأمثلة على أسباب نزول القرآن:

١- عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: كنت في غزاةٍ فسمعت عبد الله بن أبي يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، ولئن رجعنا من عنده ليخرجنَّ الأعزُّ منها الأذلَّ، فذكرت ذلك لعمي أو لعمر فذكره للنبيِّ صلى الله عليه وسلم، فدعاني فحدثته، فأرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى عبد الله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا، فكذبني رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدَّقه، فأصابني همٌّ لم يصبني مثله قط، فجلست في البيت فقال لي عمي: ما أردت إلى أن كذبتك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومقتك، فأنزل الله تعالى: «إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ؟»، فبعث إليَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم فقرأ فقال: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ صَدَّقَكَ يَا زَيْدٌ»^(٦).

٢- عن علي بن أبي طالب قال: صنع لنا عبد الرحمن بن عوفٍ طعاماً فدعانا وسقانا من الخمر فأخذت الخمر منَّا وحضرت الصلاة فقدموني فقرأت: قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ونحن نعبد ما تعبدون، قال فأنزل الله تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ»^(٧).

-وهذا حديث صحيح جامع لعدد من أسباب النزول:

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «نزلت في آياتٍ من القرآن:

قال: حلفت أم سعدٍ ألا تكلمه أبداً حتى يكفر بدينه ولا تأكل ولا تشرب قالت: زَعَمْتَ أَنْ اللَّهَ وَصَّاكَ بِالذِّكْرِ وَأَنَا أُمُّكَ وَأَنَا آمُرُكَ بِهَذَا، قال: مَكَّنْتُ ثَلَاثًا حَتَّى غَشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْجَهْدِ، فَقَامَ ابْنٌ لَهَا يُقَالُ لَهُ عِمَارَةُ فَسَقَاهَا، فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلَى سَعْدٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الْآيَةَ؟: «وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي؟ وَفِيهَا؟ وَصَاحِبَيْهِمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا؟»

(٦) متفق عليه: أخرجه البخاري: كتاب «تفسير القرآن» باب «قوله: إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ...» حديث (4900)، باب «؟» اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً؟ يَجْتَبُونَ بِهَا «حديث (٤٩٠١)، باب «قوله: ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ»؟ حديث (٤٠٩٢) (4903)، باب «قوله: وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّأُ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ»؟ حديث (4904)، باب «قوله: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ»؟ حديث (٤٩٠٥)، مسلم: كتاب «صفات المنافقين وأحكامهم» حديث (٢٧٧٢).

(٧) أخرجه أبو داود: كتاب «الأشربة» باب «في تحريم الخمر» حديث (٣٦٧١)، الترمذي: كتاب «تفسير القرآن» باب «ومن سورة النساء» حديث (٣٠٢٦) قال الترمذي: «حديث حسن غريب صحيح».

قال: وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم غنيمةً عظيمةً فإذا فيها سيفٌ فأخذته فأتيت به الرسول صلى الله عليه وسلم فقلت: نفلني هذا السيف فأنا من قد علمت حاله، فقال: «رُدَّهُ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُ»، فانطلقت حتى إذا أردت أن ألقيه في القبض لامتني نفسي فرجعت إليه فقلت: أعطنيه. قال: فشدَّ لي صوته» رُدَّهُ مِنْ حَيْثُ أَخَذْتَهُ. «قال: فأنزل الله تعالى؟: يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ.؟»

قال: ومرضتُ فأرسلت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأتاني، فقلت: دعني أقسم مالي حيث شئت. قال: فأبي. قلت: فالنصف؟ قال: فأبي. قلت: فالثلث؟ قال: فسكت، فكان بعد الثلث جائزاً.

قال: وأتيت على نفرٍ من الأنصار والمهاجرين فقالوا: تعال نطعمك ونسقك خمراً— وذلك قبل أن تحرم الخمر قال: فأتيتهم في حشٍّ— والحشُّ البستان— فإذا رأس جزورٍ مشويٌّ عندهم وزقٌّ من خمرٍ، قال: فأكلت وشربت معهم، قال: فذكرت الأنصار والمهاجرين عندهم، فقلت: المهاجرون خيرٌ من الأنصار، قال: فأخذ رجلٌ أحد لحبي الرأس فضربني به فجرح بأنفي، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته، فأنزل الله تعالى في— يعني نفسه— شأن الخمر؟: إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ؟^(٨).

المبحث الثالث

فوائد معرفة أسباب ورود الحديث

العلم بأسباب ورود الحديث الشريف يفيد كثيراً للمشتغل بالحديث والفقهاء معاً، ومن أبرز الفوائد المتحصلة من

(٨) أخرجه مسلم: كتاب «فضائل الصحابة» باب «في فضل سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه» حديث. (1748).

هذا النوع:

١ - إدراك حكم التشريع، ومعرفة مقاصد الشريعة.

يعد سبب الورود معرّفًا بالظرف الذي لأجله ذكر الحديث، وما احتف به من الظروف والملابسات، وهذا يفيد كثيراً في مسألة الاجتهاد وتزليل الأحكام على الوقائع والنوازل، ويعين في باب القياس وضم النظر إلى نظيره.

٢ - فهم الحديث على الوجه الصحيح، وسلامة الاستنباط منه.

قال الواحدي عن أسباب النزول: "إذ هي أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تصرف العناية إليها، لامتناع معرفة تفسير الآية، وقصد سبيلها دون الوقوف إلى قصتها وبيان نزولها"^(٤).

وقال ابن دقيق العيد: "بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن"^(٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب"^(٤).

والأمر لا يختلف كثيراً في أسباب ورود الحديث عنه في أسباب نزول القرآن، فالفقيه والمجتهد بحاجة ماسة إلى النظر في سبب ورود الحديث، حتى لا يحصل الخطأ في فهم النص وتزويله على غير محله^(٤).

ولعلي أضرب على ذلك مثلاً يوضح ذلك:

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس من البر الصوم في السفر"^(٤). وهذا مشكل مع ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه صام في السفر؛ لكن هذا الإشكال يتزاح إذا عرف سبب ورود الحديث، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في سفر فرأى زحاماً ورجلاً قد ظلل عليه، فقال: "ما هذا؟" فقالوا: صائم، فقال: "ليس من البر الصوم في السفر".

فبمعرفة سبب ورود الحديث فهم الحديث على وجهه، وسلم الاستنباط منه، وأن الصيام في السفر لا يكون من البر إذا بلغ بالمرء من الجهد والمشقة كحال ذلك الرجل.

(٤) أسباب النزول لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (٤).

(٤) نقل قوله صاحب الإتيان في علوم القرآن جلال الدين السيوطي (١/٨٤).

(٤) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم (٣٣٩/١٣).

(٤) تكلم الأصوليون على إعمال سبب الورود في الترجيح بين النصين المتعارضين ضمن مرجحات المتن، ينظر: ضوابط الترجيح عند وقوع التعارض لدى الأصوليين (ص: ٣٢١).

(٤) أخرجه البخاري (١٩٤٦)، ومسلم (١١١٥).

٣ - تخصيص العام.

٤ - تعيين الميهم.

ومن أمثلته ما جاء عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره" متفق عليه (٤).

فقد بين هذا الميهم في سبب ورود الحديث، وذلك في قول أنس: كسرت الربيع - وهي عممة أنس بن مالك - ثنية جارية من الأنصار فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأمر بالقصاص، فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك: لا والله لا تكسر ثنيتها يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره".

٣- إزالة الإشكال عن الرواية .

وإذا كان ابن دقيق العيد والسيوطي قد نبّها - كما مر - إلى هذه العلاقة، بين أسباب الورود وما كتب فيها، وأسباب التزول وما كتب فيها، فإن المتأمل في هذه الكتابات، يجد أن المصنفين في أسباب التزول، هم المشتغلون بالروايات وما يتصل بعلوم الحديث؛ فقد ذكر الإمام الزركشي في كتابه "البرهان في علوم القرآن"، عناية المفسرين في كتبهم بمعرفة أسباب التزول، وأنهم أفردوا فيه تصانيف، منهم "علي بن المديني" شيخ البخاري، ومن أشهرها تصنيف الواحدي.

واتفق الإمام السيوطي مع الإمام الزركشي في وصف كتاب أسباب التزول لأبي الحسن "علي بن أحمد الواحدي النيسابوري" بأنه أحسنها.

كما يقول السيوطي: ثم شيخ الإسلام حافظ العصر، أبو الفضل "ابن حجر".

غير أن الإمام السيوطي - وقد أُلّف في هذا كتابه لباب النقول في أسباب التزول - يذكر في كتابه "الإتقان"، ما يشعر بسبب تأليفه لهذا الكتاب، على الرغم من شهادته بالحسن لكتاب الواحدي، فيقول: "ومن أشهرها كتاب الواحدي على ما فيه من إعواز، وقد اختصره "الجعبري" فحذف أسانيد، ولم يزد عليه شيئاً، وأُلّف فيه شيخ الإسلام أبو الفضل ابن حجر كتاباً مات عنه مسودة، فلم نقف عليه كاملاً، وقد أُلّف فيه كتاباً حافلاً موجزاً محرراً، لم يؤلّف مثله في هذا النوع.

(٤) رواه البخاري (٢٧٠٣)، ومسلم (١٩٠٣).

وعلى كل حال، فكل من كتب - بعد ذلك - في أسباب النزول، فإن مصادره الأساسية ما ذكر في البرهان، والإتقان، وما جمع من أسباب النزول في الكتب السابقة، ومن أجمع ما كتب من دراسة حديثة في هذا، ما سطره الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني في كتابه "مناهل العرفان في علوم القرآن".

عند الوقوف أمام المعاني في بعض الآيات، وفي بعض الأحاديث، يقول الواحدي: "لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها، وبيان نزولها".

ويقول ابن دقيق العيد: "بيان سبب النزول، طريق قوي في فهم معاني القرآن". ويقول ابن تيمية: "معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب".

ومن أمثلة ذلك:

أشكل على مروان بن الحكم معنى قوله تعالى: (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم) (آل عمران: ١٨٨).. فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن علقمة بن وقاص: أن مروان قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل امرئ فرح بما أتى، وأحب أن يحمد بما لم يفعل، معذبًا، لنعدبن أجمعون! فقال ابن عباس: وما لكم وهذه؟! إنما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهود، فسألهم عن شيء فكنتموه إياه، وأخبروه بغيره، فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم، ثم قرأ ابن عباس: (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لئبينه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنًا قليلًا فبئس ما يشترون * لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم) (آل عمران: ١٨٧-١٨٨).

وأما الأمثلة التي تتعلق بأسباب الورود، فقد ذكر أستاذنا الدكتور يوسف القرضاوي، مجموعة منها في كتابه "كيف نتعامل مع السنة النبوية، معالم وضوابط"، قدم لها بقوله: "لا بد لفهم الحديث فهمًا سليمًا دقيقًا، من معرفة الملابسات التي سيق فيها النص، وجاء بيانًا لها، وعلاجًا لظروفها، حتى يتحدد المراد من الحديث بدقة، ولا يتعرض لشطحات الظنون، أو الجري وراء ظاهر غير مقصود.

ومما لا يخفى أن علماءنا قد ذكروا أن مما يُعين على حسن فهم القرآن معرفة أسباب نزوله، حتى لا يقع فيما وقع فيه بعضُ الغلاة من الخوارج وغيرهم، ممن أخذوا الآيات التي نزلت في المشركين، وطبقوها على المسلمين، ولهذا كان ابنُ عمر يراهم شرار الخلق، بما حرفوا كتاب الله عما أنزل فيه. فإذا كانت أسباب نزول القرآن مطلوبة لمن يفهمه أو يفسره، كانت أسبابُ ورود الحديث أشدَّ طلبًا.

ذلك أن القرآن بطبيعته عامٌ وخالدٌ، وليس من شأنه أن يعرض للجزئيات، والتفصيلات، والآيات، إلا لتؤخذ منها المبادئ والعبر.

أما السنة فهي تعالج كثيراً من المشكلات الموضوعية والجزئية والآنية، وفيها من الخصوص والتفاصيل ما ليس في القرآن.

فلا بد من التفرقة بين ما هو خاص وما هو عام، وما هو مؤقت وما هو خالد، وما هو جزئي، وما هو كلي، فلكل منها حكمه، والنظر إلى السياق والملايسات والأسباب، تساعد على سداد الفهم، واستقامته لمن وفقه الله.

والأمثلة التي قدمت لبيان أهمية أسباب ورود، وأثرها في الفهم الصحيح، تجمع بين ذكر الحديث، والفهم الخطأ له، والفهم الصواب الذي يتحقق بمعرفة سبب ورود هذا الحديث.

فمثلاً يذكر الحديث الذي أخرجه مسلم، في كتاب المناقب، من صحيحه، عن عائشة رضي الله عنهما، وكذلك عن أنس رضي الله عنه: "أنتم أعلم بأمور دنياكم".

وقد اتخذ "دعاة العلمانية" تكأةً للفصل بين الدنيا والدين، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم وكل إلى الناس أمر دنياهم، فهم أعلم بها. وهذا خطأ في الفهم، يُردّه هذا الموقف التعليمي التربوي، الذي يُفهم من قصة هذا الحديث، وسبب وروده، وهي قصة تأبير النخل.

ومع ذكره أستاذنا الدكتور يوسف القرضاوي في ذلك؛ فإن النتيجة من قصة التأبير، تخاطب المسلمين في الأمور المتغيرة، والتي تخضع للخبرة، والتجربة، والتحسين المستمر، بما يفتح الله سبحانه به على عباده في كل زمان، مع الاسترشاد بما جعل الله سبحانه لعباده من الأصول العامة، التي ترشد هذه المتغيرات، بشأن المسلم في هذا، أن يأخذ بأحدث ما وصلت إليه الخبرة، والتجربة، والنتيجة العلمية، ولا يقول: كان الشأن في ذلك على عهد الرسول الله صلى الله عليه وسلم كذا، أو قال فيها بكذا، ما لم يكن هذا القول وحياً مُلزماً، وهذا - عادة - يكون في الجوانب الثابتة من أمور العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والأخبار، وأصول المعاملات، التي ترشد ما يكون فيها من متغيرات.

والمثال الآخر، يذكر فيه الحديث الذي رواه أبو داود في الجهاد، ورواه الترمذي في السير: "أنا برئ من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين - لا تتراءى نارُهما"، والفهم الخطأ لهذا الحديث، تحريم الإقامة في بلاد غير المسلمين بصفة عامة، مع تعدد الحاجة إلى ذلك في عصرنا، للتعلم، وللتداوي، وللعمل، وللتجارة، وللسفارة، ولغير ذلك.

ويصحح هذا الفهم، بمعرفة سبب ورود الحديث، والذي جاء فيه: "بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية إلى خثعم، فاعتصم ناس منهم بالسجود، فأسرع فيهم القتل، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فأمرهم بنصف العقل (أي الدية) وقال: "أنا برئ من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين، قالوا: يا رسول الله، لم؟ قال: لا تتراءى نارُهم".

فجعل لهم نصف الدية وهم مسلمون؛ لأنهم أعانوا على أنفسهم، وأسقطوا نصف حقهم، بإقامتهم بين المشركين

المحاربين لله ولرسوله.

وعلى الإمام الخطابي إسقاط نصف الدية، بأنهم أعانوا على أنفسهم بمقامهم بين ظهري الكفار، فكانوا كمن هلك بجناية نفسه، وجناية غيره، فسقطت حصة جنايته من الدية.

فقوله عليه الصلاة والسلام: "أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين"، أي بريء من دمه إذا قُتل؛ لأنه عرض نفسه لذلك بإقامته بين هؤلاء المحاربين لدولة الإسلام.

أهم المؤلفات فيه.

أشار إلى هذا النوع ابن دقيق العيد في شرح حديث: "إنما الأعمال بالنيات" (٤). والبلقيني (٨٠٥ هـ) في (محاسن الاصطلاح)، وقال في آخر كلامه: "والمرجو من الله سبحانه وتعالى الإعانة على مبسوط فيه بفضله وكرمه" (٤).

ومن أشهر ما صنف في هذا النوع:

- ١- أسباب ورود الحديث، أو اللمع في أسباب الحديث، للحافظ السيوطي (٩١١ هـ)، وهو مرتب على الأبواب، وطبع في جزء بتحقيق د. يحيى إسماعيل.
- ٢- البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف، لابن حمزة الحسيني الدمشقي (١١٢٠ هـ)، وهو مرتب على الحروف، وأوسع وأشمل، وطبع في ثلاثة مجلدات.

المبحث الرابع

أقسام سبب الورد

أقسام سبب الورد :

الحديث الشريف في الورد على قسمين:

١- ما له سبب قيل لأجله.

٢- ما لا سبب له.

فالحديث الذي له سبب قيل لأجله أنواع:

(٤) محاسن الاصطلاح (ص: ٦٣٢)، وينظر: (الإعلام بفوائد عمدة الأحكام) لابن الملقن (٢٠٥/١).

(٤) إحكام الأحكام (١/ ١٠).

١- يكون آية قرآنية: وذلك بأن تنزل آية من الآيات تحمل صيغة العموم ويراد منها الخصوص، كما في قوله تعالى "الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون" فقد فهم بعض الصحابة من هذه الآية أن المراد من الظلم، الجور ومجاوزة الحد، ولذلك جاءوا شاكين - فأعلمهم بأن المراد من الآية الشرك. فقد ورد عن عبد الله بن ع: إلى رسول الله - مسعود - رضي الله عنه - لما نزلت "الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم" شق ذلك- ع- وقالوا: أينما لم يلبس إيمانه بظلم؟ فقال رسول الله ع- على أصحاب رسول الله " - انه ليس بذلك، ألا تسمع إلى قول لقمان لابنه " إن الشرك لظلم عظيم . "

٢- أن - حديثا فيشكل فهمه على بعض الصحابة، فينطق ع يكون حديثا: وذلك بأن يقول النبي - النبي - صلى الله عليه وسلم - بحديث آخر يزيل هذا الإشكال . وهذا نوعان :
أ - أن ينقل السبب في الحجية مثل حجية القلتين، سئل عن الماء يكون بفلاة وما ينبوه من السباع والدواب فقال : "إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل الخبث" .

ب- أن لا يذكر السبب في الحديث ، أو ينقل في بعض طرقه وهذا هو الذي ينبغي الاعتناء به. وذلك مثل حديث "أفضل صلاة المرء في بيته إلا المكتوبة" وذكر السبب هو ما رواه ابن ماجه ع- والترمذي في الشرائع عن عبد الله بن سعد - رضي الله عنه - "سألت رسول الله - أيما أفضل الصلاة في بيتي أو الصلاة في المسجد؟ قال: ألا ترى إلى بيتي ما أقربه من المسجد فلأن أصلي في بيتي أحب إلي من أن أصلي في المسجد إلا أن تكون صلاة مكتوبة. "

٣- أن يكون أمرا متعلقا بالسامعين من الصحابة : وذلك كأمر الشريد الذي جاء إلى - يوم الفتح وقال له : إني نذرت إن فتح الله عليك أن أصلي في بيت المقدس ع. النبي - فقال له النبي - صلى الله عليه وسلم - "ها هنا أفضل . ثم قال : والذي نفسي بيده لو صليتها هنا أجزأ عنك. ثم قال صلاة في هذا المسجد أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه من المساجد. "عند الوقوف أمام المعاني في بعض الآيات، وفي بعض الأحاديث، يقول الواحدي: "لا يمكن معرفة تفسير الآية دون الوقوف على قصتها، وبيان نزولها".

ويقول ابن دقيق العيد: "بيان سبب النزول، طريق قوي في فهم معاني القرآن".

ويقول ابن تيمية: "معرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب".
ومن أمثلة ذلك:

أشكل على مروان بن الحكم معنى قوله تعالى: (لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون أن يُحمدوا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب وهم عذاب أليم) (آل عمران: ١٨٨).. فقد أخرج البخاري في صحيحه بسنده عن علقمة بن وقاص: أن مروان قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل امرئ فرح بما أتى، وأحب أن يحمد بما لم يفعل، معذبًا، لنعدبن أجمعون! فقال ابن عباس: وما لكم ولهذه؟! إنما دعا النبي صلى الله عليه وسلم يهود، فسألهم عن شيء فكنتموه إياه، وأخبروه بغيره، فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم، وفرحوا بما أتوا من كتمانهم، ثم قرأ ابن عباس: (وإذ أخذ الله ميثاق الذين أتوا الكتاب لئبينه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنًا قليلًا فبئس ما يشترون * لا تحسبن الذين يفرحون بما أتوا ويحبون

أن يحمدا بما لم يفعلوا فلا تحسبنهم بمفازة من العذاب ولهم عذاب أليم (آل عمران: ١٨٧-١٨٨).

وأما الأمثلة التي تتعلق بأسباب الورد، فقد ذكر أستاذنا الدكتور يوسف القرضاوي، مجموعة منها في كتابه "كيف نتعامل مع السنة النبوية، معالم وضوابط"، قدم لها بقوله: " لا بد لفهم الحديث فهماً سليماً دقيقاً، من معرفة الملابسات التي سيق فيها النص، وجاء بياناً لها، وعلاجاً لظروفها، حتى يتحدد المراد من الحديث بدقة، ولا يتعرض لشطحات الظنون، أو الجري وراء ظاهر غير مقصود.

ومما لا يخفى أن علماءنا قد ذكروا أن مما يُعين على حسن فهم القرآن معرفة أسباب نزوله، حتى لا يقع فيما وقع فيه بعض الغلاة من الخوارج وغيرهم، ممن أخذوا الآيات التي نزلت في المشركين، وطَبَّقوها على المسلمين، ولهذا كان ابنُ عمر يراهم شرار الخلق، بما حرفوا كتاب الله عما أنزل فيه.

فإذا كانت أسباب نزول القرآن مطلوبة لمن يفهمه أو يفسره، كانت أسبابُ ورود الحديث أشدَّ طلباً.

ذلك أن القرآن بطبيعته عامٌ وخالدٌ، وليس من شأنه أن يعرض للجزئيات، والتفصيلات، والآيات، إلا لتؤخذ منها المبادئ والعبر.

أما السنة فهي تعالج كثيراً من المشكلات الموضوعية والجزئية والآنية، وفيها من الخصوص والتفاصيل ما ليس في القرآن.

فلا بد من التفرقة بين ما هو خاص وما هو عام، وما هو مؤقت وما هو خالد، وما هو جزئي، وما هو كلي، فلكلٍّ منها حكمه، والنظرُ إلى السياق والملابسات والأسباب، تساعد على سداد الفهم، واستقامته لمن وفقه الله".

والأمثلة التي قُدمت لبيان أهمية أسباب الورد، وأثرها في الفهم الصحيح، تجمع بين ذكر الحديث، والفهم الخطأ له، والفهم الصواب الذي يتحقق بمعرفة سبب ورود هذا الحديث.

فمثلاً يذكر الحديث الذي أخرجه مسلم، في كتاب المناقب، من صحيحه، عن عائشة رضي الله عنهما، وكذلك عن أنس رضي الله عنه: "أنتم أعلم بأمور دنياكم".

وقد اتخذته "دعاة العلمانية" تكأةً للفصل بين الدنيا والدين، وأن الرسول صلى الله عليه وسلم وكل إلى الناس أمر دنياهم، فهم أعلم بما. وهذا خطأ في الفهم، يُردّه هذا الموقف التعليمي التربوي، الذي يُفهم من قصة هذا الحديث،

وسبب وروده، وهي قصة تأبير النخل.

ومع ذكره أستاذنا الدكتور يوسف القرضاوي في ذلك؛ فإن النتيجة من قصة التأبير، تخاطب المسلمين في الأمور المتغيرة، والتي تخضع للخبرة، والتجربة، والتحسين المستمر، بما يفتح الله سبحانه به على عباده في كل زمان، مع الاسترشاد بما جعل الله سبحانه لعباده من الأصول العامة، التي ترشد هذه المتغيرات، فشأن المسلم في هذا، أن يأخذ بأحدث ما وصلت إليه الخبرة، والتجربة، والنتيجة العلمية، ولا يقول: كان الشأن في ذلك على عهد الرسول الله صلى الله عليه وسلم كذا، أو قال فيها بكذا، ما لم يكن هذا القول وحياً مُلزماً، وهذا - عادة - يكون في الجوانب الثابتة من أمور العقيدة، والعبادة، والأخلاق، والأخبار، وأصول المعاملات، التي ترشد ما يكون فيها من متغيرات.

والمثال الآخر، يذكر فيه الحديث الذي رواه أبو داود في الجهاد، ورواه الترمذي في السير: "أنا برئ من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين - لا تتراءى نارهما"، والفهم الخطأ لهذا الحديث، تحريم الإقامة في بلاد غير المسلمين بصفة عامة، مع تعدد الحاجة إلى ذلك في عصرنا، للتعلم، وللتداوي، وللعمل، وللتجارة، وللسفارة، ولغير ذلك.

ويصحح هذا الفهم، بمعرفة سبب ورود الحديث، والذي جاء فيه: "بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم سرية إلى خثعم، فاعتصم ناس منهم بالسجود، فأسرع فيهم القتل، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم، فأمر لهم بنصف العقل (أي الدية) وقال: "أنا برئ من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين، قالوا: يا رسول الله، لم؟ قال: لا تتراءى نارهم".

فجعل لهم نصف الدية وهم مسلمون؛ لأنهم أعانوا على أنفسهم، وأسقطوا نصف حقهم، بإقامتهم بين المشركين الخاربين لله ولرسوله.

وعلى الإمام الخطابي إسقاط نصف الدية، بأنهم أعانوا على أنفسهم بمقامهم بين ظهري الكفار، فكانوا كمن هلك بجنابة نفسه، وجنابة غيره، فسقطت حصة جنابته من الدية. فقول له عليه الصلاة والسلام: "أنا برئ من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين"، أي برئ من دمه إذا قُتل؛ لأنه عرض نفسه لذلك بإقامته بين هؤلاء الخاربين لدولة الإسلام.

والعلم بأسباب ورود الحديث الشريف يفيد كثيراً للمشتغل بالحديث والفقهاء معاً، ومن أبرز الفوائد المتحصلة من هذا النوع:

١ - إدراك حكم التشريع، ومعرفة مقاصد الشريعة.

يعد سبب ورود معرفة بالظرف الذي لأجله ذكر الحديث، وما احتف به من الظروف والملابسات، وهذا يفيد كثيراً في مسألة الاجتهاد وتزويل الأحكام على الوقائع والنوازل، ويعين في باب القياس وضم النظر إلى نظيره.

٢ - فهم الحديث على الوجه الصحيح، وسلامة الاستنباط منه.

قال الواحدي عن أسباب النزول: "إذ هي أوفى ما يجب الوقوف عليها، وأولى ما تصرف العناية إليها، لامتناع معرفة تفسير الآية، وقصد سبيلها دون الوقوف إلى قصتها وبيان نزولها".^(٩).

وقال ابن دقيق العيد: "بيان سبب النزول طريق قوي في فهم معاني القرآن"^(١٠).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومعرفة سبب النزول يعين على فهم الآية، فإن العلم بالسبب يورث العلم بالمسبب".

والأمر لا يختلف كثيراً في أسباب ورود الحديث عنه في أسباب نزول القرآن، فالفقيه والمجتهد بحاجة ماسة إلى النظر في سبب ورود الحديث، حتى لا يحصل الخطأ في فهم النص وتزويله على غير محله^(١١).

ولعلي أضرب على ذلك مثلاً يوضح ذلك:

عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ليس من البر الصوم في السفر"^(١٢)، وهذا مشكل مع ما ثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنه صام في السفر؛ لكن هذا الإشكال يتزاح إذا عرف سبب ورود الحديث، وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم كان في سفر فرأى زحاماً ورجلاً قد ظلل عليه، فقال: "ما هذا؟" فقالوا: صائم، فقال: "ليس من البر الصوم في السفر".

فبمعرفة سبب ورود الحديث فهم الحديث على وجهه، وسلم الاستنباط منه، وأن الصيام في السفر لا يكون من البر إذا بلغ المرء من الجهد والمشقة كحال ذلك الرجل.

٣ - تخصيص العام.

٤ - تعيين المبهم.

(٩) أسباب النزول لأبي الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (٤).

(١٠) نقل قوله صاحب الإتيان في علوم القرآن جلال الدين السيوطي (١/٨٤).

(١١) مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم (٣٣٩/١٣).

(١٢) تكلم الأصوليون على إعمال سبب ورود في الترجيح بين النصين المتعارضين ضمن مرجحات المتن، ينظر: ضوابط الترجيح عند وقوع التعارض لدى الأصوليين (ص: ٣٢١).

ومن أمثلته ما جاء عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره" متفق عليه (١٣).

فقد بين هذا المبهم في سبب ورود الحديث، وذلك في قول أنس: كسرت الربيعُ - وهي عمّة أنس بن مالك - ثنية جارية من الأنصار فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأمر بالقصاص، فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك: لا والله لا تكسر ثنيتها يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره".

المبحث الخامس

علم أسباب ورود الحديث تطبيقاً

هناك بعض النصوص الحديثية التي طبق عليها العلماء قواعد علم سبب ورود الحديث ومن هذه الأحاديث :

١ - عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ذلك صريح الإيمان".

سببه: جاء ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه: "إنا نجد في أنفسنا ما يتعاظم أحدنا أن يتكلم به؟ قال: "وقد وجدتموه؟" قالوا: نعم، قال: "ذاك صريح الإيمان".

٢ - عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "كان الله ولم يكن شيء قبله، وكان عرشه

(١٣) أخرجه البخاري (١٩٤٦)، ومسلم (١١١٥).

على الماء، ثم خلق السموات والأرض وكتب في الذكر كل شيء" (١٤).

سببه: أن ناساً من بني تميم أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: "اقبلوا البشرى يا بني تميم" قالوا: قبلنا يا رسول الله، ثم قالوا: جئنا لتتفقه في الدين، ولنسألك عن أول هذا الأمر ما كان؟ قال: كان الله ولم يكن شيء قبله... (١٥).

٣- عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنكم لن تزالوا في صلاة ما انتظرتم الصلاة".

سببه: قال أنس: أخر رسول الله صلى الله عليه وسلم صلاة العشاء ليلة إلى شطر الليل، ثم أقبل علينا بوجهه وقال: "إن الناس قد صلوا وناموا، وإنكم لن تزالوا...".

٤- عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إني لأبصر من ورائي كما أبصر من بين يدي" (١٦).

سببه: صلى النبي صلى الله عليه وسلم يوماً ثم انصرف، فقال: "يا فلان، ألا تحسن صلاتك؟ ألا ينظر المصلي إذا صلى كيف يصلي، فإنما يصلي لنفسه، إني لأبصر من ورائي...".

٥- عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هي التسبيح والتكبير وقراءة القرآن" (١٧)..

سببه: قال معاوية: بينا أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلا: واثكل أمياه، ما شأنكم تنظرون إليّ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني، سكت، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إن هذه الصلاة...".

٦- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن هذه القبور مملوءة ظلمة على أهلها، وإن الله ينورها بصلاتي عليهم" (١٨).

(١٤) أخرجه البخاري (٣١٩٠) (٣١٩١)، في أول كتاب بدء الخلق، و(٧٤١٨) في كتاب التوحيد، باب "وكان عرشه على الماء"، والترمذي (٣٩٥١) في كتاب المناقب، باب مناقب ثقيف وبني حنيفه، وروايته مختصرة إلى قوله: قد قبلنا.

(١٥) أخرجه البخاري (٥٧٢) في كتاب مواقيت الصلاة، باب وقت العشاء إلى نصف الليل، ومسلم (٦٤٠) في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب وقت العشاء وتأخيرها.

(١٦) أخرجه مسلم (٤٢٣) في كتاب الصلاة، باب الأمر بتحسين الصلاة وإتمامها والخشوع فيها.

(١٧) أخرجه مسلم (٥٣٧) في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة.

(١٨) أخرجه مسلم (٩٥٦) في كتاب الجنائز، باب الصلاة على القبر.

سببه: أن امرأة سوداء كانت تَقُمُّ المسجد - أو شاباً - ففقدتها رسول الله صلى الله عليه وسلم فسأل عنها - أو عنه - فقالوا: مات، قال: "أفلا كنتم آذنتموني؟" فكأنهم صغروا أمرها - أو أمره -، فقال: "دلوني على قبره" فدلوه، فصلوا عليها، ثم قال: "إن هذه القبور...".

٧- عن عبد الله بن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه يوم قدموا مكة أن يرملوا ثلاثة أشواط ويمشوا بين الركنين ليرى المشركون جلدَهم^(١٩).

سببه: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه مكة وقد وهنتهم حمى يشرب، فقال المشركون: إنه يقدم عليكم غداً قوم قد وهنتهم الحمى ولقوا منها شدة، فجلسوا مما يلي الحجر، وأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يرملوا ثلاثة أشواط ويمشوا بين الركنين ليرى المشركون جلدَهم.

٨- عن عمرو بن عوف قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أبشروا وأملوا ما يسركم، فوالله ما الفقير أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم"^(٢٠).

سببه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث أبا عبيده بن الجراح إلى البحرين يأتي بجزيتهما، وكان النبي صلى الله عليه وسلم صالح أهل البحرين وأمر عليهم العلاء بن الحضرمي، فقدم أبو عبيده بمال البحرين، فسمعت الأنصار بقدوم أبي عبيده، فوافوا صلاة الفجر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم انصرف، فتعرضوا له، فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم حين رآهم، ثم قال: "أظنكم سمعتم أن أبا عبيده قدم بشيء من البحرين؟" فقالوا: أجل يا رسول الله، فقال: "أبشروا...".

٩- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في البحر: " هو الطهور ماؤه الحل ميتته"^(٢١).

سبب الحديث: أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله؛ إنا نركب البحر، ونحمل معنا القليل من الماء، فإن توضأنا به عطشنا، أفنتوضأ بماء البحر؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " هو الطهور ماؤه الحل ميتته".

(١٩) أخرجه البخاري (١٦٠٢) في كتاب الحج، باب كيف كان بدء الرمل، ومسلم (١٢٦٦) في كتاب الحج، باب استحباب الرَّمَل في الطواف.

(٢٠) أخرجه البخاري (٣١٥٨) في أول كتاب الجزية والموادعة، ومسلم (٢٩٦١) في كتاب الزهد والرقائق.

(٢١) أخرجه أبو داود رقم (٨٣) في الطهارة: باب الوضوء بماء البحر، والترمذي رقم (٦٩) في الطهارة: باب ما جاء في ماء البحر أنه طهور، والنسائي رقم (٥٩) في الطهارة: باب ماء البحر، وابن ماجه رقم (٣٨٦) في الطهارة: باب الوضوء بماء البحر. وقال الترمذي: حسن صحيح.

١٠- عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "إن الماء طهور لا ينجسه شيء" (٢٢).

سبب الحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل: أنتوضأ من بئر بضاعة وهي بئر يطرح فيها الحيض ولحم الكلاب والنتن؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن الماء طهور لا ينجسه شيء".

١١- عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "ويل للأعقاب من النار".
مرتين أو ثلاثاً.

سبب الحديث: عن عبد الله بن عمرو قال: تخلف عنا النبي صلى الله عليه وسلم في سفرة سافرناها، فأدركنا وقد أرهقتنا الصلاة ونحن نتوضأ، فجعلنا نمسح على أرجلنا فنأدى بأعلى صوته: "ويل للأعقاب من النار".
مرتين أو ثلاثاً (٢٣).

١٢- عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا أتيتم الصلاة فعليكم السكنة، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا" (٢٤).

سبب الحديث: عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: بينما نحن نصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ سمع جلبة رجال، فلما صلى دعاهم، فقال: "ما شأنكم؟" قالوا يا رسول الله! استعجلنا إلى الصلاة قال: "فلا تفعلوا، إذا أتيتم الصلاة فعليكم السكنة، فما أدركتم فصلوا وما فاتكم فأتموا".

١٣- عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يركع ركعتين" (٢٥).

سبب الحديث: عن أبي قتادة رضي الله عنه قال: دخلت المسجد ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس بين ظهراني الناس، فجلست، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما منعك أن تركع ركعتين قبل أن تجلس؟" قلت: يا رسول الله؛ رأيتك جالسا والناس جلوس، قال: "فإذا دخل أحدكم المسجد فلا يجلس حتى يركع"

(٢٢) أخرجه أبو داود رقم (٦٦) في الطهارة: باب ما جاء في بئر بضاعة، والترمذي رقم (٦٦) في الطهارة: باب ما جاء أن الماء لا ينجسه شيء، والنسائي رقم (٣٢٦) في الطهارة: باب ذكر بئر بضاعة. وصححه الإمام أحمد وابن معين، وغيرهما. ينظر: (التلخيص الحبير) لابن حجر ١/٢٤.

(٢٣) أخرجه البخاري رقم (٦٠) في العلم: باب من رفع صوته بالعلم، ومسلم رقم (٢٤١) في الطهارة: باب وجوب غسل الرجلين بكماهما.

(٢٤) أخرجه البخاري رقم (٦٣٥) في الصلاة: باب قول الرجل: فاتتنا الصلاة، ومسلم رقم (٦٠٣) في المساجد ومواضع الصلاة: باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة.

(٢٥) أخرجه البخاري رقم (٤٤٤) في الصلاة: باب إذا دخل أحدكم المسجد فليركع ركعتين، ومسلم رقم (٧١٤) في صلاة المسافرين وقصرها: باب استحباب تحية المسجد بركعتين. وسبب الورد عند مسلم دون البخاري.

ركعتين".

١٤- عن زيد بن ثابت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أفضل صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة" (٢٦).

سبب الحديث: عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: احتجر رسول الله صلى الله عليه وسلم حجيرة مخصصة أو حصيرا، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي فيها، قال: فتتبع إليه رجال وجاءوا يصلون بصلاته، ثم جاؤوا ليلة فحضروا وأبطأ رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم، فلم يخرج إليهم، فرفعوا أصواتهم وحصبوا الباب، فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم مغضبا، فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم: "ما زال بكم صنيعكم حتى ظننت أنه سيكتب عليكم، فعليكم بالصلاة في بيوتكم فإن خير صلاة المرء في بيته إلا الصلاة المكتوبة".

١٥- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من غش فليس مني" (٢٧).

سبب الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مر على صبرة طعام فأدخل يده فيها، فنالت أصابعه بللا، فقال: "ما هذا يا صاحب الطعام؟" قال: أصابته السماء يا رسول الله، قال: "أفلا جعلته فوق الطعام كي يراه الناس، من غش فليس مني".

١٦- عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إن المرأة تنكح لدينها وجمالها، فعليك بذات الدين تربت يداك" (٢٨).

سبب الحديث: عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: تزوجت امرأة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلقيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال: "يا جابر؛ تزوجت؟" قلت: نعم، قال: "بكر أم ثيب؟" قلت: ثيب، قال: "فهلا بكرا تلاعبها؟" قلت: يا رسول الله إن لي أخوات فخشيت أن تدخل بيني وبينهن، قال: "فذاك إذن، إن المرأة تنكح على دينها ومالها وجمالها، فعليك بذات الدين تربت يداك".

(٢٦) أخرجه البخاري رقم (٦١١٣) في الأدب: باب ما يجوز من الغضب والشدة لأمر الله، ومسلم رقم (٧٨١) في صلاة المسافرين وقصرها: باب استحباب صلاة النافلة في بيته.

(٢٧) أخرجه مسلم رقم (١٠٢) في الإيمان: باب قول النبي ﷺ (من غشنا فليس منا)، وأبو داود رقم (٣٤٥٢) في البيوع: باب النهي عن الغش، والترمذي رقم (١٣١٥) في البيوع: باب ما جاء في كراهية الغش في البيوع، وابن ماجه رقم (٢٢٢٤) في التجارات: باب النهي عن الغش.

(٢٨) أخرجه مسلم رقم (٧١٥) في الرضاع: باب استحباب نكاح ذات الدين، والنسائي رقم (٣٢٢٦) في النكاح: باب على ما تنكح المرأة.

المصادر والمراجع

- ١- الإتيقان في علوم القرآن جلال الدين السيوطي ط. الحلبي .
- ٢- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام ، لابن دقيق العيد ، ط. أنصار السنة .
- ٣- أسباب ورود الحديث (اللمع في أسباب الحديث) : تأليف : السيوطي ؛ جلال الدين بن عبد الرحمن السيوطي (٤٨٩ - ٩١١هـ) . تحقيق دكتور : يحيى إسماعيل أحمد ، ط ١ . دار الكتب العلمية ، لبنان سنة ١٤٠٤ هـ = ١٩٨٤ م .
- ٤- أسباب ورود الحديث تحليل وتأسيس : دكتور : محمد رأفت سعيد (كتاب الأمة) العدد ٣٧ . يناير ١٩٩٤ م .
- ٥- الإعلام بفوائد عمدة الأحكام لابن الملقن . ط. التراث الإسلامي .
- ٦- البيان والتعريف في أسباب ورود الحديث الشريف : ابن حمزة الحسيني الحنفي ، تحقيق : دكتور : حسين عبد المجيد هاشم و ط. دار التراث العربي ، القاهرة .

٧- التلخيص الحبير) لابن حجر ، دائرة المعارف العثمانية .

٨- سنن أبي داود السجستاني . تحقيق . محمد محي الدين عبد الحميد ط. دار الكتب العلمية .

٩- سنن سعيد بن منصور . ط. موقع جامع الحديث

١٠- السنن الكبرى . ط. ١. الهند : دائرة المعارف العثمانية ، سنة ١٣٤٤هـ . البيهقي ؛ أبو بكر أحمد بن الحسن بن علي البيهقي (ت ٤٥٨هـ) .

١١- صحيح مسلم ، المسمى (المسند الصحيح المختصر من السنن بنقل العدل ، عن العدل ، عن رسول الله ﷺ) بشرح الإمام النووي . ط ٣. بيروت : دار إحياء التراث العربي . مسلم ؛ أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري (٢٠٤ - ٢٦١هـ) .

١٢- ضوابط الترجيح عند وقوع التعارض لدى الأصوليين : لبيونس الولي ، ط. أضواء السلف ، الرياض سنة ٢٠٠٤ م .

١٣- فتح الباري بشرح صحيح البخاري : تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، ط . دار الغد ، سنة ١٤١٢هـ = ١٩٩٢ م. ابن حجر ؛ أبو الفضل ؛ شهاب الدين أحمد بن علي ، ابن حجر العسقلاني (٧٧٣ - ٨٥٢هـ) .

١٤- فضائل القرآن» : لأبي عبيد بن سلام ط . الحلبي (بدون تاريخ) .

١٥- لباب النقول في أسباب النزول ، للسيوطي . ط. الحلبي .

١٦- مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، جمع عبد الرحمن بن قاسم (٣٣٩/١٣) .

١٧- محاسن الاصطلاح ، للبلقيني . ط. دار الكتب العلمية .

الفهرست

تقديم ٢

١- المبحث الأول: تعريف (أسباب ورود الحديث). ٥

٢- المبحث الثاني: الفرق بين سبب النزول وسبب الورد. ٨

٣- المبحث الثالث: فوائد معرفة أسباب ورود الحديث. ١١

٤- المبحث الرابع: أقسام سبب الورد. ١٦

٥- المبحث الخامس: علم أسباب ورود الحديث تطبيقاً. ٢١

المصادر والمراجع ٢٦

الفهرست ٢٨